مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 15، عدد رقم:02، جوان 2026، صص: 19- 43

تاريخ الاستلام(2026/02/14)تاريخ القبول (2026/05/14)تاريخ النشر (2026/06/30)

دلالة التركيب في النص القرآني و أثرها في تصوير حركية الحدث والانفعالات النفسية (قصة يوسف عليه السلام انموذجا)

The SignificanceofStructure in theQuranic Text andits Impact on Portrayingthe Dynamics of Events and Psychological Emotions: The Story of Joseph (PBUH)as a Model

جنان محمد مهدي العقيدي

كلية التربية للبنات، بغداد(العراق)، jinan.al_aqeedi@coeduw.uobaghdad.edu.iq

ملخص:

امتاز أسلوب القصص القرآني بدقته وبراعته في تشخيص أبعاد النفس البشرية وأغوارها ودواخلها بما لا يدانيه أسلوب قصصي آخر، فاللغة وسيلة التصوير وهي ليست مجموعة ألفاظ فقط بل مجموعة من العلاقات تنتظم في سلسلة لغوية تعبّر عن المعنى ليرسم لنا صورة حيّة ومجسّمة في آن واحد عما تعتريه النفوس من أحاسيس ومشاعر خفية تُظهرها شخصيات القصة، والحركة تشير إلى عدم عبثية الأحداث للإنسان بل إلى دقة متناهية ترسم أبعاد حياة النفس البشرية، فتغدو متمثلة بصور متحركة ماثلة أمام الأعين كأنها مشاهد محسوسة شاخصة في إشارة إلى حركة تشخيصية تُجسّد الأحداث عبر شخوص تتحرك في فضاءات الحياة.، لذا جاءت فكرة البحث لتبين تلك الحركة المستمرة متمثلة بحركية الحدث وتنوعه وتجليات ذلك في سورة مشحونة بالأحداث والانفعالات النفسية الخفية المتلونة في تركيب شخصياتها ألا وهي سورة يوسف (عليه السلام)ودعوة إلى معالجة مشكلات النفس البشرية المعاصرة من حسد وحقد وغيرة وتباغض و ابتعاد عن الحياء ونبذ لما تحمله النفس

المؤلف المرسل:جنان محمد مهدي العقيدي الإيميل:jinan.al_aqeedi@coeduw.uobaghdad.edu.iq

البشرية من أمراض العصر بالإفادة من الدروس والعبر التي تجلّت في قصة يوسف (عليه السلام)وفهم إيحاءات النص القرآني وتدبّرها.

كلمات مفتاحية: الشعر العربي، المعاصر، التشكيل البصري، جماليات، التأويل

Summary:

The Quranic narrative style is distinguished by its precision and mastery in portraying the dimensions, depths, and inner realities of the human النفس in a way unmatched by any other narrative style. Language serves as the medium of depiction, and it is not merely a collection of words, but rather a network of relationships organized within a linguistic structure that conveys meaning, thereby presenting a vivid and tangible image of the hidden feelings and emotions reflected through the characters of the story. Movement, in turn, indicates that human events are not random or meaningless; rather, they are marked by extreme precision that outlines the dimensions of human psychological life. Consequently, these events appear as moving images before the eyes, as though they were perceptible scenes vividly embodied, signaling a dynamic form of characterization that brings events to life through figures moving within the spaces of existence. Hence, the idea of this research emerged to demonstrate this continuous movement as represented in the dynamism and diversity of events, and their manifestations in a surah filled with incidents and concealed psychological emotions reflected in the composition of its characters, namely Surat Yusuf (peace be upon him). The study also calls for addressing the problems of the contemporary human النفس—such as envy, hatred, jealousy, animosity, loss of modesty, and the rejection of the moral values threatened by the ailments of modern times—by drawing lessons and insights from the story of Joseph (PBUH), understanding the implications of the Qur'anic text, and contemplating its meanings.

Keywords: Significance; structure; emotions; Qur'anic text; depiction

1.مقدمة:

الحمد لله رب العالمين وخالق الأنس والجن أجمعين والصلاة والسلام على خير المرسلين وخاتم النبيين محمد الأمين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله على صحابته الغرّ الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

تمتلك الألفاظ والعبارات إيحاءات ودلالات تحرك النفس وتثير الفكر، فاللغة وسيلة التصوير وهي ليست مجموعة ألفاظ فقط بل مجموعة من العلاقات تنتظم في سلسلة

لغوية تعبّر عن المعنى؛ لذا عدّ التصوير أداة من أدوات فهم المعنى وإدراكه وتجسيده عبر تراكيب لغوية تجسّم أحداث وتقلبات النفس الإنسانية بشكل ملموس ومحسوس بصورة تشخيصية، وقد امتاز أسلوب القصص القرآني بدقته وبراعته في تشخيص أغوار النفس البشرية وأبعادها ودواخلها بما لا يدانيه أسلوب قصصي آخر ليرسم لنا صورة حيّة ومجسّمة في آن واحد عما تعتريه النفوس من أحاسيس ومشاعر خفية تظهرها شخصيات القصة.

ولعل من الأدوات الأخرى لتجسيد المعنى في النص القرآني الحركة في القصص القرآني، إذ تعدّ محوراً محركاً للأحداث فيها، فالمتأمل للحركة في السياق القرآني يجدها فناً خاصاً به تتلون دلالاتها ووظائفها مع سياق الآيات الكريمات لتخرج النص من شرنقة السكون إلى فضاء الحركة القادر على شحذ فكر المتلقي ومخيلته دافعة به إلى استخراج الدلالات الكامنة وراء أستار النص، فالفلك الدائر حركة وعسعسة الليل حركة وتنفس الصبح حركة وجريان الأنهار حركة وسقوط الشهب حركة واهتزاز الأرض وإنباتها حركة والكون كله في أصله حركة دائرية مستمرة، والحركة تشير إلى عدم عبثية الأحداث للإنسان بل إلى دقة متناهية ترسم أبعاد حياة النفس البشرية، فتغدو متمثلة بصور متحركة ماثلة أمام الأعين كأنها مشاهد محسوسة شاخصة في إشارة إلى حركة تشخيصية تجسد الأحداث عبر شخوص تتحرك في فضاءات الحياة.

لذا قامت فكرة البحث على رصد تلك الحركة المستمرة متمثلة بحركية الحدث وتنوعه وتجليات ذلك في سورة مشحونة بالأحداث والانفعالات النفسية الخفية المتلونة في تركيب شخصياتها ألا وهي سورة يوسف (عليه السلام)التي عبّر السياق القرآني بتراكيبه المتنوعة عنها لنطل منها على ما تخبئه دواخل الشخصيات في القصة من انفعالات مختلفة تعكس دوافع ونوازع تترجمها الأقوال والأفعال على وفق نظم معجز في تراكيبه ومفرداته.

وهي دعوة إلى معالجة مشكلات النفس البشرية المعاصرة من حسد وحقد وغيرة وتباغض وابتعاد عن الحياء ونبذ لما تحمله النفس البشرية من أمراض العصر بالإفادة من الدروس والعبر التي تجلت في قصة يوسف (ع)وتدبّر وفهم إيحاءات النص القرآني وجعلها

السبيل والمحجة البيضاء في تزكية النفس وبناءها وفق مبادئ الدين الإسلامي الحنيف الذي يحض على تقويم النفس الإنسانية بنشر الألفة والمحبة والتسامح والسلام.

وتبعاً لذلك فقد قسم البحث على أربعة مباحث، سبقت بتمهيد عن القصة القرآنية وماهية الانفعال وتصوير السياق القرآني له، وتضمن المبحث الأول الذي هو بعنوان: (**دلالة التركيب وعلاقته بالتصوير في القرآن الكريم**)الحديث عن دلالة التركيب في النظام اللغوي عند القدامى والمحدثين من اللغويين، كذلك الحديث عن التصوير وتجسيده للحالات النفسية في السياق القرآني، أما المبحث الثاني فهو بعنوان: (**ثنائيات الحدث وتوازيها في التراكيب الدالة على النوازع الشيطانية لإخوة يوسف (ع)**)فقد تضمن الحديث عن إيحاءات التراكيب لدوافع وانفعالات أخوة يوسف (عليه السلام)عبر أحداث متوازية مثل الكيد والغيرة والحسد والحقد والغضب، أما المبحث الثالث فهو بعنوان: (**دلالة الأفعال المزيدة في تصوير حدث المراودة و انفعالات امرأة العزيز ونسوة المدينة**)وفيه بيان لأثر دلالة صيغ الأفعال المزيدة في تصوير الحركة المتخيلة من الأحداث ونوعها سواء أكانت حركة سريعة أم بطيئة خفية أم ظاهرة، فضلا عن انفعالات امرأة العزيز من شهوة وغضب.

في حين كان المبحث الرابع والأخير بعنوان: (**تنوع التراكيب في انفعالات يعقوب (عليه السلام)**)ليبين تنوع التراكيب سواء أكانت اسمية أم فعلية التي تصوّر انفعالات يعقوب (عليه السلام)من خوف وتوجس وغيظ وحزن.

وختم البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي تم التوصل إليها.

<u>التمهيد</u>

عُرّفت القصة بأنها: ((مجموعة من الأحداث المترابطة يقوم بها مجموعة من الأشخاص في حركة حيَّة دائبة، ويتخلل كل ذلك عنصر التشويق الذي يحكمه الخيال حتى نصل إلى الذروة أو العقدة التي يعقبها الحل أو لحظة التنوير)).[1] **(**باحاذق، عمر محمد عمر، 1997، ص 9)

وعُرف عن القصة القرآنية بأنها بناء متفرد في تشكيله وهندسته؛ ذلك لأنها تسرد أحداثاً ووقائع واقعية بعيدة عن الاصطناع البشري بأسلوب تصويري وتشخيصي يصوّر

أحداثاً تمتلئ حيوية وحركية، فقد امتاز أسلوب القصص القرآني بالتصوير والتجسيم والإيحاء للموقف والحركة والدوافع والانفعالات النفسية.

وتفرّد السرد القصصي القرآني بخاصية مزج الأحداث والوقائع وتهيئة الأسباب النفسية والأجواء الفكرية والأسس العقلية ليتفاعل معها المتلقي، فاستطاعت القصة القرآنية أن تعرض أبعاد النفس البشرية المتنوعة بتحليلها تحليلاً عميقاً ودقيقاً للمشاعر والأحاسيس مما لا تدركه الحواس أحيانا؛ لأنه كامن في أعماق النفس الإنسانية.

فالقصة القرآنية تمتلك جاذبية تحمل المتلقي بأسلوب فائق التشويق لتلمس الحدث وتقلباته المتحركة والمتنوعة في الزمان والمكان ليعيش مع شخصياتها وأجواء أبطالها النفسية والفكرية والاجتماعية فيرحل معها عبر أغوار الزمان والمكان لتنقله إلى عوالم لم يكن حاضراً فيها بشخصه ويسترشد بعبر ومواعظ جسدتها تلك الشخصيات بحركيتها وهي خاصية إعجازية لأسلوب القصص القرآني ونظمه المعجز.

ولعل قصة يوسف (عليه السلام)واحدة من تلك القصص شديدة الجاذبية التي تميزت بتنوع الأحداث وكثرتها وقدرتها الإعجازية في تصوير الطباع البشرية مثل لمسات الحقد والمكر والخديعة والنوازع الشيطانية من الشهوة والغواية، فضلا عن ذلك فإن جملها جاءت ((مترابطة برباط معنوي واحد تشترك فيه يتمثل في وحدة الموضوع الذي تدور حوله)). [2] (عشاب، آمنة، 2007، المقدمة ب)

إن توالي الأحداث وتغايرها في القصة كشف لنا عن تقنيات فنية راقية تمثلت بـ ((راوٍ معجز، وبداية، وشخوص، وحوار، وزمان، ومكان، وحبك، وأحداث، ونهاية)).[3] (الدجيلي، د. حسن عبد الهادي، 2005، ص 12)ويشكّل الحدث في بناء القصة القرآنية عنصراً هاماً؛ إذ تكون القصة بدونه حياة لا نبض فيها، بالعودة إلى بناء الحدث في قصة يوسف (عليه السلام)نجد أن الحدث يسير بتنامٍ هندسي فني ينبئ عن إعجاز لغوي وبلاغي وأسلوبي تنعكس خيوطه المحكمة في تدفق الأحداث وتسلسلها الدقيق المتنوع، وتصطف المشاهد في القصة على وفق ترتيب محكم يتخذ مساراً دائرياً يبدأ بالرؤيا وينتهي بتأويلها.

اتسمت بداية قصة يوسف (عليه السلام)ببداية مثيرة هادئة فكانت البداية أشبه باللغز الذي اتخذ شكل رمز خفي انتظم في رؤيا يوسف (عليه السلام)التي كان لها بُعدها

الجوهري في القصة وأحداثها، ثم تسلسلت الأحداث على ((وفق معمارية بالغة الجمال من تداخل الأحداث وصلة بعضها بالآخر، ثم نمّوها عبر خطوط تتوازى وتفترق حتى تُصبّ في نهر واحدٍ في نهاية المطاف .)).[4] (البستاني، د. محمود، 1428 ،1/ 276)

وتضافر كل من عنصري الزمان والمكان في تشكيل الحدث في القصة وتآزرا معا لحبك خيوطها، فعنصر الزمان سار باتجاه الأمام في سرد القصة فكانت الرؤى ذات زمن مستقبلي فهي متقدمة من داخل الحركة الزمنية الأمامية [5] (البستاني، د. محمود، 1428 ،1/ 129)، أما عنصر المكان فقد أخذ بعداً خاصاً فلكل مكان وظيفته وسماته الجغرافية المجتمعية التي طبعت أحداث القصة وكان لها أكبر الأثر في إظهار شخصيات القصة وأبطالها ودلالات أفعالهم، وكان لظلال المكان (الجب، بيت العزيز، السجن)انعكاس عن ملامح حياة يوسف (عليه السلام)والأحداث التي دارت فيها .

أما الانفعالات النفسية أو الداخلية في القصة، فنجد أنها تترجم عبر رموز لغوية تنتظم في سلسلة تراكيب لها دلالاتها الإيحائية لمعانٍ كامنة داخل النفس البشرية، وتتنوع هذه الانفعالات وتتغاير بحسب الحالات النفسية التي تمر بها شخصيات القصة ويختلف تبعاً لها سلوكها الإنساني وتصرفاتها.

ولو حاولنا تعريف الانفعال "emotion" لوجدنا أنه عبارة عن ((استجابة الفرد إلى مواقف، قد لا يستطيع فيها أداء السلوك المرغوب فيه، مثلما يحدث في انفعال الخوف والغضب، ويرتبط الانفعال بإشباع حاجة أو رغبة أو عاطفة))[6] (منصور، د. عبد المجيد سيد أحمد وآخرون، ص 206)؛ إذ يشير إلى ما يتعرّض له الإنسان من مشاعر وأحاسيس وجدانية تتوقف معها نشاطاته الأخرى عدا ما يتركّز حول الموقف الذي أثاره، فهو حالة هياج واضطراب تتميز بالتوتر، ويحدث الانفعال عن مصدر نفسي نتيجة بعض المؤثرات الخارجية[7] (موراي، إدوارد ج، 1998، ص 128)، ويتضمن ثلاثة جوانب هي: الأول شعوري ذاتي أو داخلي، أما الثاني فخارجي ظاهر، والثالث فسيولوجي داخلي، وهذه الجوانب الثلاثة ليست منفصلة بل ينتج أحدها الآخر، ويطبع الجانب الشعوري الداخلي الانفعال بطابعه الخاص الذي يتفرّد به [8] (راجح، د. أحمد عزت، 1968، ص 129 – 130)، وتبعاً لذلك فإن تحليل حدوث الانفعال وعناصره يعتمد على:1- المثير أو المنبه داخلياً أو خارجياً، 2-

الإنسان والحالة النفسية والعقلية والشعورية التي هو عليها، 3- الاستجابة الشعورية والسلوكية [9] (العثمان، عبد الكريم، 1981، ص 255)

إن الانفعال في درجته المعقولة أمر لا بد منه في السلوك؛ لأن الحياة ((دون انفعال بين الحين والآخر ليست حياة بالمعنى الصحيح، بل هي أقرب إلى السكون منها إلى الحركة))[10](العثمان، عبد الكريم، 1981، ص 260)، ولا بد من الإشارة إلى أن الانفعال له صلة وثيقة بالدوافع؛ ذلك لأن الدافع سبب للانفعال وأغلب الدوافع الأساسية تصاحبها انفعالات مميزة فدافع ((التماس الأمن يقترن بانفعال الخوف، ودافع المقاتلة يقترن بانفعال الغضب، والدافع الجنسي يصحبه انفعال الشهوة.. كأن الانفعال هو القوة المحركة للدافع، ومن دونه يكون الدافع خامداً لا أثر له))[11] (راجح، د. أحمد عزت، 1968، ص 130).

لو أخذنا أنموذجاً من الانفعالات في القصص القرآني نجد أن السياق القرآني وظّف التركيب بدلالاته وإيحاءاته لتصوير الانفعالات في النفس البشرية وسلوكها وأفعالها، ولم يركّز على الجانب الفسيولوجي لشخصيات القصة ببيان ملامحهم الخارجية وأشكالهم من جمال أو قصر قامة أو طول أو غيرها إلا فيما ندر بإشارة أو لمحة خاطفة، لقد تنوعت الانفعالات التي تناولها السياق القصصي القرآني من خوف وغضب وحب وحزن .. وغيرها وتميّز التصوير فيها بروعة التركيب ودقة الانتقاء للتعبير المؤثر الذي لا تؤديه المعاني التجريدية؛ ذلك لأن المعاني تصل إلى الأذهان عبر الألفاظ وظلالها التعبيرية التصويرية القادرة على نقل الحركة واللون والظل والإيحاء إلى نفس المتلقي.

فأسلوب السياق القرآني يرسم لنا انفعال الخوف على سبيل المثال حين صوّر لنا المشاعر الانفعالية لنبي الله موسى (عليه السلام)إثر قتل قبطيّاً فأصبح في المدينة خائفاً وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (القصص / 18)فالتركيب (خَائِفاً يَتَرَقَّبُ)يصوّر الحالة الانفعالية التي شعر بها موسى (عليه السلام)ويرسم لنا صورة الخائف وحالته المضطربة إذ يتلفت يميناً وشمالاً، [12] (قطب، سيد، 2002، 201)، فالانفعال ذُكر هنا بلفظه الصريح وهيئته المعبرة في التركيب الفعلي للفعل (يَتَرَقَّبُ).

من كل ما تقدم يمكن القول: إن تصوير الانفعالات في القرآن الكريم كان له قيمته وأهميته كونه يخص حياة نفس بشرية جاءت الشريعة السمحة لأجل تقويمها بذكر عِبرة وموعظة جسّدتها نفوس بشرية عكست انفعالاتها الداخلية في صور مختلفة.

المبحث الأول: دلالة التركيب وعلاقته بالتصوير في القرآن الكريم

****

تتألف اللغة من مجموعة ألفاظ منتظمة في جمل أو تراكيب لفظية تكوّن الكلام المنطوق، الذي اشترط فيه الإفادة بما يحسن السكوت عنه، وقد درست الجملة والتركيب في النحو العربي فتمثلت بكونها مصطلحات ذات دلالات متقاربة يراد بها ((ضم الألفاظ بعضها إلى بعض أو نظمها في بناء متكامل المعنى، يفيد المخاطب ما يحسن السكوت عليه))[13](ناصح، د. كريم حسين، 2000، ص 33).

كانت السمة البارزة في دراسة الجملة والتركيب عند النحاة القدامى هي أن دراستهم لم تكن ذات ملامح محددة رغم عنايتهم بهما؛ ذلك أن الناظر في الكتب النحوية المتقدمة يجد أنها كانت مرتبة على أساس المفردات ووظائفها وأن العناية كانت بمكونات التركيب لا التركيب نفسه [14] (حسان، د. تمام، 1998، ص 6)، فالتركيب في العربية يعتمد في أصله على الإسناد والجملة تتألف من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه وهما عمدة الكلام [15] (السامرائي، د. فاضل صالح، 2007، ص 16)، ودراسة النحاة الأوائل للتركيب كانت في ضوء وظائف المفردات وأحوال اللفظ داخل التركيب ((فمن يقرأ بابي " المسند والمسند إليه " و"الاستقامة من الكلام والإحالة " في كتاب سيبويه يجد حديثه عن التركيب حديث العارف بأسراره ويعرف أنه كان حاذقاً في التمهيد لكتابه بمباحث تعد الأساس في البحث النحوي لينفذ منها إلى ما هو أكثر تفصيلاً؛ وذلك بالانتقال من موضوعات التركيب إلى بيان مواقع أجزاء الجملة وعلاقتها بعضها مع بعض))[16] (ناصح، د. كريم حسين، 2000، ص 38)وهذا يدلّ على أن عدم التصريح بالمصطلح وحدّه لا يعني عدم المعرفة به، ويمكن أن يعزى عدم الوضوح إلى مسألة غاية في الأهمية هي أن النحو في بداية التأليف فيه ابتعد عن التحليل والتعليل والتقعيد الذي أولعت به كتب النحو المتأخرة بناءً على نظرية العامل النحوي.

إن الدراسات الجادة والناضجة للجملة والتركيب ارتسمت ملامحها الواضحة على يد عبد القاهر الجرجاني الذي رسم نظرية سبق بها الفكر الغربي في معرفة التراكيب هي نظرية النظم، وقد نظر إلى التراكيب على وفق دلالاتها على المعاني المتفاوتة، وأومأ إلى أن أغراض الكلام ليست إلا تعبيراً عن المفهوم الجوهري للغة، وهو ما يدلّ على إدراكه للمعاني النفسية التي يظهرها اختلاف التركيب، فيكون بهذا أقرب إلى المنهج التركيبي في نظرية المعنى الحديثة، فالتركيب عنده كلٌ متكامل على العكس من النحاة القدامى الذين عنوا بالأجزاء ثم التركيب[17](زوين، د. علي، 1986، ص 66)، كما أنه يكون قد سبق الدراسات اللسانية الحديثة المتمثلة بالنظرية التوليدية التحويلية ورائدها تشومسكي.

أما دراسة اللغويين المحدثين فكانت جادة للتركيب، إذ كانت الجملة نقطة البدء في الدراسة ونظرتهم لها نظرة تركيبية ركّزوا فيها على دراسة الجملة بكونها الوحدة اللغوية الأساسية للدراسة، وذلك بتحليلها على وفق النظرية التوليدية التحويلية إلى بنية عميقة وبنية سطحية.

ووفقاً لذلك فإن الجملة وحدة تركيبية دلالية متكاملة تتضمن معاني ودلالات حسب طبيعة التركيب اللغوي الذي يؤلفه المكون الأساسي الذي ينتج الجمل والتراكيب ألا وهو المفردات [18] (البب، د. إبراهيم البب، 2008، ص 153)، فالمعنى كان الغاية وراء دلالة التركيب الذي إذا فقد دلالته فقد قيمته ودلالة التركيب لا تتأتى إلا من تآلف مكوناته وهي المفردات التي تربط بينها علاقات دلالية مؤلفة الجمل التي تفيد المعاني.

فالتركيب والمعنى بينهما من الصلة الوثيقة التي تجعل كل منهما مكملاً للآخر ومحتاجاً إليه في ذات الوقت، إذ يتعسّر فهم المعنى فهماً واضحاً وكاملاً إن لم تعرف الوظيفة النحوية والمعجمية للتركيب، وهذا يعني أن فهم ومعرفة دلالة النص محكوم بفهم العلاقات الدلالية للتركيب وهو أمر له أهمية كبرى في رسم التأثير بالمتلقي وفهمه الدقيق لمعنى التركيب.

إن معاني التراكيب اللغوية ليست إلا ترجماناً للسان حال النفس البشرية، فكل ما في دواخل النفس من انفعالات وأحوال نفسية خفية تترجمها تراكيب ذات دلالات وإيحاءات تعكسها الرموز اللغوية للتركيب، موحية بما يدركه التصور من معانٍ هامشية أو ظلال المعاني للتراكيب اللغوية.

وتبعاً لذلك فإن تصوير المعاني وعلى وجه الخصوص المعاني النفسية في أسلوب القرآن الكريم يعدّ من أبرز خصائص أسلوبه التي انمازبها، إذ يجسّم لنا المعنى عبر تراكيبه ذات الإيجاز المكثف بجودة السبك وإحكام النظم مع إيفاء المعنى بدقة اختيار اللفظ المنسجم داخل التركيب، فهو بمثابة الصورة الفوتوغرافية للنفس الإنسانية .

لذا كان التصوير((الأداة المفضلة في أسلوب القرآن الكريم، فهو يعبر بالصورة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية. ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحركة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسَّمة مرئية))[19] (قطب، سيد، 2002، 36).

إن السياق القرآني قدّم لنا تصويراً حياً فلم يكن مجرد تصوير باللون أو الحركة أو الموسيقى أو خطوط جامدة في تراكيب لغوية، بل رَسَم المشاعر والانفعالات والمعاني التي تتفاعل في النفس البشرية رسماً دقيقاً ومعبراً عن تلك المعاني والانفعالات، فالمتأمل لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (النحل / 58) يجد دقة التصوير للحزن الشديد الذي كان بتوحد الحركات التعبيرية الظاهرة على ملامح الوجه والانفعال النفسي الخفي في التركيب (وَهُوَ كَظِيمٌ)الوارد بصيغة المبالغة المناسبة له.

ويمكن القول: إن التصوير في القرآن الكريم يعدّ نبض تراكيبه فهو يلامس الأذهان وينشط خيال المتلقي ويعبّر عن المشاعر الإنسانية بدقة، فبدونه يكون أسلوب الكلام خالياً من قوة التأثير وتكون التراكيب مجرد ألفاظ جامدة لا حياة فيها وهذا من أسرار إعجاز أسلوب النص القرآني.

المبحث الثاني:

(ثنائيات الحدث وتوازيها في التراكيب الدالة على النوازع الشيطانية لإخوة يوسف ع)

قامت القصة على ثنائيات أساسية في تشكل الأحداث فكانت تلك الثنائيات الخيوط الخفية الرابطة للأحداث التي أدت بالنتيجة إلى تناميها وسيرورتها، وقد تنازعت في القصة ثنائية الخير والشر التي تمثلت بالحب والكره والشهوة والعفة واليأس والفرح بلغة حيّة تعدّت التعبير المجرد إلى تصوير المشاعر والانفعالات، فأضفت على جو القصة وأحداثها شحنات شعورية كانت النواة المركزية التي تنطلق منها الأحداث فضلاً عن الثراء اللغوي والعمق الدلالي.

إن تتابع الأحداث في القصة يسير على وفق نظام دقيق كانت فيه الأحداث متتالية متعاقبة تمهد كل منها إلى الأخرى والأحداث فيها تتوالى على وفق حبكة فنية فريدة، فكل حدث يكون سبباً للآخر أو نتيجة له [20] (سعود، مريم، 2006، ص 77 – 78)، والزمن يعانق الحدث على الرغم من تنوع الشخصيات الإنسانية وتقلب نفسياتها وتنوع رؤاها، وقد امتازت القصة في ابتدائها بالتشويق وإثارة الذهن من خلال وصفها بأنها "أحسن القصص " ثم تلا ذلك الحديث عن رؤيا يوسف (عليه السلام)التي حرّكت الأحداث وحملت في طياتها بعدًا مركباً اختزل الأحداث من بدايتها إلى منتهاها، والحدث فيها له بداية ووسط ونهاية، فكان هذا الاستهلال كفيلاً بشدّ المتلقي وتشويقه إلى متابعة أحداث القصة ومعرفة تنوع أساليبها الخطابية والحوارية، ((وهي كذلك طريفة في المضمون والأحداث، من الرؤى إلى الإلقاء في البئر إلى البيع في مصر إلى المراودة إلى السجن ثم الملك وغيرها من الأحداث))[21](نوفل، احمد، 1989، ص 10)؛ لذا طُبعت القصة بطابع خاص حيث أنها تجعل قارئها متجدد المشاعر بتعدد قراءتها لما حفلت به من عواطف ومشاعر متنوعة ومختلفة تتنازع داخل النفس البشرية، فكانت حياة نابضة بنوازع الخير والشر بين الرغبة والامتناع والطاعة والمروق إلى المعصية بأسلوب سلسل اللفظ رقيقه، حتى قيل عن السورة أنه لا يقرأها محزون إلا استراح إليها .

باستنطاق حركية الحدث في القصص القرآني نجد روعة الأداء الحواري القرآني في التعبير عن ذلك، تمثل ذلك في موضوعات رئيسة كان أولها موضوع " الحسد والحقد " الذي كان الباعث والمحرك الأول بل المحور الأساس لأحداث القصة، إذ كان له بعده الجوهري في تسلسل الأحداث كلها وتشكلها الهندسي المنظم، كونه نقطة الانطلاق للجريمة الكبرى بحق يوسف (عليه السلام).

لقد تملّك الحسد إخوة يوسف وقد كشفت الآيات الكريمة أن ((نفوس إخوة يوسف انطوت على حسد كبير لأخيهم، وبيّنت أن مبعث حسدهم أنانيتهم وطمعهم وحب الاستحواذ والتملك المسيطر عليهم))[22] (طهماز، عبد الحميد محمود، 1990، ص 25)، فالحسد من وجهة نظر علماء النفس يعدّ نمطاً من أنماط السلوك الاجتماعي المرضي غير المقبول لما له من أضرار تلحق الفرد وعلاقته بالآخرين وفيه دليل على عدم ثقة الحاسد بنفسه وعدائيته ورغبات الحقد المكبوتة في نفسه، كما أنه يكون سبباً للوقوع في القبائح والجرائم والرذائل، فالحسد من صفات المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن لكونه مما يضمر في دواخل النفس .

وقد كان ذلك الفعل المرضي بذرة لنواة أسوأ منه وهو الحقد، تأمل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف/ 7 - 8)، فكانت هذه المقولة (لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا)بداية بذور الحقد الكامن داخل نفوسهم الذي ترجموه بقولهم ونقطة بدء لحدث آخر هو الغيرة والكيد، أما الغيرة ففعل مذموم له آثاره السلبية وهو شعور مؤلم إذا تعدى حدوده يحول سلوك الفرد إلى سلوك عدواني يتجاوز به على من يظنه أفضل منه مكانة وحظوة أو من يعدّه غريماً له، وهو فعل منبعه وسوسة الشيطان، ومن نتائجه فرقة الأحبة لسيطرته على تفكير الشخص وسلوكه، فهي ((انفعال مركب، أي أنها بهذا المعنى مزيج غريب من انفعالات مختلفة))[23] (السيد، د. فؤاد البهي، ص 214).

وهذا هو حال إخوة يوسف (عليه السلام)حين رأوا محبة النبي يعقوب (عليه السلام)ليوسف وأخيه، فكان من فرط غيرتهم أن كادوا له وأجمعوا على المكيدة والأذى [24] (السيد، د. فؤاد البهي، ص 215)، وهذه حال النفس البشرية التي تمتلئ غيضاً وغضباً فتفقد زمام أمرها وصفاء سريرتها وتلتزم خواطر الشيطان التي تسوّل لها ارتكاب جريمة القتل، ((فمشاعر الغيرة تثير الغيظ والحنق، وتدفع لأعمال كثيرة، فإن غضب إخوة

يوسف، الناشئ عن غيرتهم، دفعهم لأن يقوموا بمهمة إلقائه في البئر، ثم بيعه كالرقيق، ليتخلصوا من تواجده أمام أعينهم))[25] (حبيب، صمؤيل، ص 26).

لقد بُذر الغضب في نفوس الإخوة فكان نازعاً من النوازع الشيطانية التي شكلت هذا الانفعال الذي يكون منبعه وسوسة الشيطان فهو ثوران في النفس يجد مكانه ((تابعاً لمثير ما، سواء أكان المثير أحداثاً أو انفعالات أو مشاعر أو إحساسات))[26] (حبيب، صمؤيل، ص 13)، فالإنسان الغاضب يكون في الغالب غير قادر على التحكم في تصرفاته وأقواله وأفعاله يدفعه الانتقام رغبة في التخلص من الشيء الذي أثار غضبه .

إن هذا الانفعال كان مسوغاً لهم ليكيدوا ليوسف (عليه السلام)ويدبّروا له المكيدة التي عبّرت تراكيب أسلوب القصة عن أقوالهم وأفكارهم المريضة التي دفعت بهم إلى الانتقام منه بأفعال تنبو عنها النفس السوية وتسلكها غير السوية منها، وبثوا حقدهم وانتقامهم بأن عمدوا إلى التخلص منه بجريمة القتل أو الإلقاء في الجب وعبّرت عن ذلك تراكيب فعلية صوّرت فظاعة المكيدة وشخّصت انفعال الغضب الذي تملّك نفوسهم، فنقل لنا السياق القرآني ذلك بقوله عز وجل: ﴿ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ* قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (يوسف 9-10)فالأذى كان متنوعاً والبدائل كثيرة صوّرتها لنا التراكيب الفعلية (اقتلوا، اطرحوا، ألقوه)ونلاحظ هنا تدفق التراكيب الفعلية الذي يصوّر شدة الانفعال وتنوعه إذ لم يدركوا نتيجة انفعالهم أنهم يقومون بارتكاب جريمة قتل نفس بريئة، كما نلاحظ التدفق السريع الحركة للأحداث المتوالية وحركة المكيدة حين قال عز من قال: ﴿ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُوَن * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ * قَالَ إِنّي لَيَحْزُنُني أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِئْبُ وَأَنتُم عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ (يوسف/ 11 – 13)فتوالي الجمل الفعلية الدالة على الحدوث ناسب وصوّر خير تصوير حركة الأحداث وفعل الكيد.

لقد أدرك الأب حيلتهم ونوازع نفوسهم المريضة فنعتهم بلفظة تنسب إلى أفعال الشيطان هي (التسويل)وهو تزيين النفس لما تحرص عليه بتصوير القبيح من الأفعال بصورة الحَسَن[27] (الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن أحمد، ص 249)فيكون بمعنى زيّنت

لكم، ويختص بفعله الشيطان لعنة الله عليه وقد عبّر التركيب في السياق القرآني عن ذلك بقوله عز وجل: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف / 18)، وكان كيد الإخوة سبباً لكيد آخر ولولباً لحدث ومكيدة أخرى ومقدمة لها وهو كيد وفتنة امرأة العزيز، ويجمع بين الكيدين صفة تبدو في أصل ظاهرها خفية إلا أن المتأمل فيها يجدها جلية واضحة هي أن أصل الكيد هو الشر المتضمن التدبير الخفي غير الظاهر على وفق ترتيب وتدبير لأحداث يشوبها النقص لكونها تدبيراً بشرياً قاصراً يضمر بها سوءاً يفضح خبايا الشر في نفسه الذي يؤدي به إلى ارتكاب الكبائر، لقد كان للدوافع النفسية التي حملتها شخصيات القصة من حسد وحقد وغيرة أثره في حركة أحداث القصة ومجرياتها، كما أنها أظهرت الأمراض النفسية التي تنتاب الإنسان في حالة النوازع الشيطانية ومدى قسوتها التي تؤول إليها في لحظات ضعفها.

المبحث الثالث:

((دلالة الأفعال المزيدة في تصوير حدث المراودة و انفعالات امرأة العزيز ونسوة المدينة))

انماز أسلوب القصص القرآني بدقته في اختيار الألفاظ ذات الدلالات العميقة التي تعبر عن أحداث كثيرة بألفاظ قليلة العدد، ومن تلك الأحداث التي وردت في قصة يوسف (عليه السلام)حدث كان لولب القصة وأحداثها المترابطة هو حدث فعل المراودة الذي برزت في حبكته ونسيجه الأفعال المزيدة التي كان لها دلالاتها لزيادة مبانيها.

لقد كان للفعل المزيد تميز كبير في حدث المراودة، والمراودة هي الترفق والتأني في الطلب[28] (سليمان، الشيخ خليل، 1999، ص 76)، والحركة والتردد على الشيء [29] (العطوي، د.عويض حمود، 1431هـ، ص 22)وتختصر كلمة (وراودته)الحدث كله؛ ذلك لأنها تصوّر لنا لحظة الإعجاب الشديد من لدن امرأة العزيز أولاً، وطلبها فعل المنكر ثانياً [30] (العطوي، د.عويض حمود، 1431هـ، ص 21 - 22)، ونلحظ هنا التكثيف في تبيان الإغراء الصوتي والإغراء الحركي الذي بدر منها [31] (الدجيلي، حسن عبد الهادي، 2005، ص138)، كما نلحظ أثر دلالة صيغ الأفعال المزيدة في تصوير الحركة في فعل المراودة الواقعة من امرأة العزيز، فصيغة الفعل المزيد (فاعل)و (فعّل)كان لها أكبر الأثر في تصوير الحركة في تلك اللحظة تأملوا قوله عز من قال: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ

لَكَ..﴾ (يوسف/ 23)، إذ يدلّ الفعل المزيد (غلّق)على التكثير والمبالغة [32] (الراجحي، د.عبده، 2004، ص 34)التي بدرت من امرأة العزيز والتشديد في تغليق الأبواب.

وقد كشفت لنا كلمة (راودته)مدى الشغف الذي نال من امرأة العزيز ما نال فلم تتوانَ عن مراودته برفق ولين [33] (القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، 2006، 11 / 305)فأظهرت انفعالها وما كمن في قلبها تجاه يوسف (عليه السلام)فابتدأت هي بالفعل ((وأرادت بكل حيلها وأنوثتها تجريده من نفسه ليكون لها وحدها))[34] (العطوي، د.عويض حمود، 1431هـ، ص 24)، فالكلمة صوّرت لنا ((حيرة المرأة العاشقة، واضطرابها في حبها، ومحاولتها أن تنفذ إلى غايتها))[35] (العطوي، د.عويض حمود، 1431هـ، ص 28)، أما دلالة التركيب الفعلي (وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ)فصوّر الرغبة الجامحة للمرأة والنهم والشراسة التي انطوت عليها أفعالها.

إن انفعال الشهوة والشغف الذي بدر من امرأة العزيز كان قد قابله انفعال مناقض له هو انفعال الغضب الذي بان منها تجاه استعصام يوسف (عليه السلام)وامتناعه عن مجاراة شعور العاطفة منها وقد عبّر السياق القرآني عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (يوسف / 32)فالتعبير بالتركيب الفعلي المؤكد (ليسجننَّ وليكوننْ)كان له إيحاءاته الدلالية لانفعال داخلي هو الغضب الذي تجلى بنون التوكيد الثقيلة والخفيفة واللام المؤكدة، والتوكيد هنا كان تحقيقاً لردّ فعل من امرأة العزيز نتيجة سورة الغضب التي تملكتها وعبّرت عنها بلغة التشديد والتوكيد التي دلّت على التهديد والوعيد منها إن لم يستسلم ويذعن لأمرها، فدلالة التركيب هنا كانت خير ما صوّر ذلك الانفعال .

وصوّر لنا التركيب في النص القرآني حركة سريعة أخرى في قوله عز وجل: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ .. ﴾ (يوسف / 25)والحركة هنا مزدوجة وسريعة تمثلت بالاستباق وهو فعل الاثنين والقدّ وهو فعل الواحد إلا أنه فعل يستوجب الشدة والقوة والسرعة، كما أن له دلالة إيحائية وحسية على نهم وشراسة امرأة العزيز، وكان للفعل المزيد أثره الدلالي في تصوير الحدث تمثل بالفعل المزيد (استبق)بصيغة (افتعل)الدال على المشاركة [36] (الراجحي، د.عبده، 2004، ص 38).

حركة أخرى أنبأت عن شغف آخر تجاه يوسف كان من النسوة المنبهرات بجماله وحسنه جسدتها صيغة الفعل المزيد (أفعل)انسجمت مع الفعل المزيد (فعل)حين ذكرها عز وجل بقوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (يوسف/ 31)والإكبار حالة نفسية تظهر الانبهار بحركة الجسد وتنبهه الكامل بالجوارح والأعضاء رافق ذلك حركة أخرى هي تقطيع الأيدي، وقد صوّر لنا السياق القرآني الحركة التصويرية الأخاذة التي تشي بها تلك الصورة والذهول الذي انتاب النسوة من جمال يوسف (عليه السلام)، وعبّر عن ذلك بصيغة من صيغ الأفعال المزيدة عبر دلالة التضعيف في الفعل المزيد (قطّعن)الدال على المبالغة في الفعل.

من كل ما تقدم يمكن القول: إن الأفعال المزيدة التي وردت في حدث المراودة صوّرت بمبانيها المزيدة ذات العمق الدلالي الأحداث أفضل تصوير للانفعالات النفسية المكبوتة ودلّت على أن الأفعال بما تمتلكه من حدث وزمن استطاعت أن تبث الحركة بتراكيبها الفعلية الدالة على التجدد والحدوث فضلا عن زيادة المباني التي تفضي إلى زيادة المعاني.

المبحث الرابع: تنوع التراكيب في انفعالات يعقوب (عليه السلام)

ينبني القصص القرآني على عناصر أساسية لها بعدها الجوهري في تشكله الهيكلي ودقة بنائه الهندسي المتكامل وهي الحدث والشخصية والحوار، والمتأمل لأسلوب القصص القرآني يجد أنه يصوّر الشخصيات في سياقه النصي بصورة غير مباشرة بتصوير حركاتها وأفعالها وتفكيرها وانفعالاتها النفسية دون العناية بتفاصيل أوصافها وملامحها الجسمية الخارجية، فلم يذكر لنا على سبيل المثال ملامح رسم شخصية يوسف (عليه السلام)برغم تلمّسنا لجماله وحسنه بمراودة امرأة العزيز له وانبهار نسوة المدينة به وإكبارهنّ له، وكذا الحال لملامح يعقوب (عليه السلام).

إذن فأسلوب القصص القرآني ركّز على الحدث ببعديه الزماني والمكاني وعبّر عن معالم شخصيات القصة الخارجية والداخلية بتصوير أدائها وانفعالاتها الباطنة عبر الأحداث المختلفة وبحسب اختلاف تلك الأحداث تختلف انفعالات الشخصيات ودلالاتها تجاه الحدث وتتنوع تعابيرها وتراكيبها اللغوية وفقاً لتنوع الانفعالات.

لو تأملنا انفعالات النبي يعقوب (عليه السلام)لوجدنا أنها تنوعت بحسب أحداث القصة وتبعاً لذلك تنوعت تراكيبها التي صوّرت تلك الانفعالات، أولى تلك الانفعالات بدأت

في بداية الحدث الأول للقصة، إذ كانت البداية بتأويل يعقوب (عليه السلام)رموز الرؤيا التي رآها يوسف (عليه السلام)التي أثارت في نفسه القلق والتوجس والخوف من مكيدة إخوته له إذا سمعوا تأويلها وقد ذكر لنا السياق القرآني ذلك الحدث بقوله عز وجل: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يوسف /5)فالتعبير بالنهي (لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ)يوحي لنا بقلقه وتوجسه وخوفه غير المصرّح وتحذيره من كيد إخوته، فكانت دلالة التركيب بالفعل المنهي خير من صوّر انفعال الخوف الخفي المُلمّح له، أما الخوف الظاهر والمصرح به فكان حين خاف على يوسف (عليه السلام)من أن يأكله الذئب وإخوته في غفلة عنه، وقد ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ (يوسف/13).

إن انفعال الخوف على يوسف (عليه السلام)من كيد إخوته الذين دبّروا له المكيدة سَبَّب الأذى للأب الذي تغير الانفعال لديه إلى انفعال الحزن فكان مقترناً مع الخوف ليصوّر لنا النص القرآني مشاعر مختلطة وممتزجة معاً لنبي الله يعقوب (عليه السلام)، واقتران الخوف مع الحزن في هذه الآية كان مبرراً بذهابهم بيوسف (عليه السلام)وخوفه وقلقه عليه لصغر سنه من أن يأكله الذئب، ويشير لنا التعبير الفعلي المؤكد باللام الوارد في قوله عز وجل (لَيَحْزُنُنِي)إلى أن الحزن هنا كان خفياً باطناً غير ظاهر وأن صُرّح به على لسانه؛ إذ إن ((يعقوب (عليه السلام)توقّع حصول المكروه على يوسف (عليه السلام)من إخوته، لكنه كتم الحزن مع الهمّ والغمّ كي لا يزيد الأمر تعقيداً مع أولاده، حيث إنه لو أظهر لهم الحزن لتغلغل الحسد))[37] (مصطفى، إبراهيم عبد الرحيم محمد، 2009، ص 171)الذي لمسه في نفوسهم بإظهار حزنه على فراق ولده ولكان سبباً في تأكيد محبته وتفضيله عليهم.

لقد تدرج انفعال الحزن لدى يعقوب (عليه السلام)وكان غالباً وبارزاً على انفعالاته الأخرى وسبب ذلك تنوع الأحداث المحزنة التي تؤدي إلى مثل هذا الشعور، إذ تنوع فيها التركيب والمعاني الإيحائية للدلالة على مشاعر الحزن المختلفة الشدّة وإن لم يذكر الحزن فيها بلفظه إلا أنه لُمح في سياق القول النصي كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف/18)ولو تأملنا التراكيب في هذه الآية الواردة بألفاظ (سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً)و

(فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) لوجدنا أنها تضافرت جميعاً لتصوّر انفعال الحزن المتدرج في نفس يعقوب (عليه السلام)، وتقدم القول بأن التسوّيل بمعنى التزيين لشيء هو منكر دلّ عليه لفظ (أَمْراً)الذي ورد منكراً دلالة على عدم التيقن مما فعلوه بأخيهم كما دلّ على التهويل من فعلتهم النكراء [38] (الطاهر، ابن عاشور، 1984، 12 / 239)، فضلا عن قوله تعالى: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)الذي صوّر لنا أن النبي يعقوب (عليه السلام)بلغ به الحزن مبلغاً يتوجب عليه أن يصبر صبراً جميلاً ويكتم الهمّ والغمّ في قلبه.

إن دلالة التركيب في جزءٍ من هذه الآية ورد مكرراً في آية أخرى تصف لنا الدرجة الأخرى لانفعال الحزن نتيجة توالي حدث آخر كان حزن يعقوب (عليه السلام)فيه أشد من حزنه السابق وذلك حين عاهده أبناؤه بالحفاظ على بنيامين الأخ الشقيق ليوسف (عليه السلام)وأن يعودوا به إلى أبيهم فلم يستطع الإخوة الإيفاء بالعهد وقد ذكر الله عز وجل ذلك بقوله: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف / 83)فقوله هنا كان استرجاعاً للحزن الأول على يوسف (عليه السلام)وزاد من حزنه فقده لبنيامين، فضلا عن عدم تيقنه من زعمهم بسرقة بنيامين فقاس فعلتهم كما فعلوا حين جاءوا أباهم بشأن زعمهم أكل الذئب ليوسف (عليه السلام).

وكان هذا الفعل سبباً لبلوغ ذروة انفعال الحزن في نفس يعقوب (عليه السلام)الذي تأجج فبلغ أقصى درجات الانفعال مع تداخل انفعال آخر هو الغضب الشديد الذي كان نتيجته اعتزالهم والإعراض عنهم وقد صوّر لنا السياق القرآني حالة الحزن والغضب تلك بقوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (يوسف/ 84)فتركيب الآية الذي ابتدأ بتركيب فعلي ثم تركيب اسمي ثم تركيب فعلي ثم تركيب اسمي بمجمله صوّر خير تصوير حالة الغضب والحزن الشديد الذي وصل حد العمى من فرط البكاء والألم والحزن الذي انتاب يعقوب (عليه السلام)، إذ كان فعل التولي والإعراض يدلّ على أن الانصراف كان انصراف غضب منه [39] (الطاهر، ابن عاشور، 1984، 13 / 42)، تبعه تركيب اسمي تمثل بأسلوب النداء وذلك حين نادى الأسف فأنزل ما لا يعقل بمنزلة العاقل ونسبه إلى نفسه بقوله: (يَا أَسَفَى)والأسف أشد الحزن، وجاء التركيب الفعلي (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ)ليدلّ لنا ويصوّر شدة الحزن التي أدت إلى ضعف البصر وظاهر التركيب يشير إلى تبدل لون سوادهما بسبب كثرة البكاء فكان كناية عن عدم

الإبصار،[40](الطاهر، ابن عاشور، 1984، 13 / 42 - 43)بدلالة الفعل المزيد (ابيضَّ)الذي يدلّ على المبالغة في الحزن .[41] (الراجحي، د.عبده، 2004، ص 40).

إن انفعال الحزن الشديد الذي كان نتيجته ابيضاض العين لم يظهر في الحال بل كان في أزمان مختلفة بدأت بالتولي والإعراض والاعتكاف ثم التحسر والتأوه ثم البكاء الكثير مدة من الزمن حتى استحال ضعفاً في البصر، وابيضاض العين رافقه فعل آخر وانفعال آخر هو الغيظ تجاه فعلة أبنائه الذي عبّر عنه السياق القرآني بلفظة (كظيم)التي تكون بمعنى مكظوم أي المملوء من الحزن فصوّر لنا التركيب الاسمي (فَهُوَ كَظِيمٌ)الإمساك النفسي للحزن الذي لا يظهره للناس [42] (الطاهر، ابن عاشور، 1984، 13 / 43)وإنما أظهره لله عز وجل فعبّر عنه النص القرآني بقوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف / 86)والبثّ هو ما ((يَرِدُ على الإنسان من الأشياء المهلكة مما لا يتهيأ له أن يخفيها))[43] (القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، 2006، 11 / 435)فصوّر لنا تركيب القصر في (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ)ما في نفسه من انفعال لا يقوى على كتمانه فالبث أشد الحزن وأقواه.

مما تقدم يتبين أن النص القرآني وظّف التراكيب بتنوعها سواء أكانت الاسمية منها أم الفعلية ليصوّر لنا الحدث بانفعالاته المصاحبة له، وأن التراكيب اللغوية كانت لها دلالاتها الإيحائية المعبرة عن دقة في الاستعمال الذي ناسب الحدث، كما أنها بيّنت لنا صور الشعور والانفعال الداخلي المختلف الذي انتاب نفس النبي يعقوب وترجمته تلك التراكيب بدلالتها المجسمة المتخيلة صورها في الأذهان فعبّر اللفظ عن المعنى وجسّده في الواقع الذهني فنقلنا إلى أجواء الحزن التي لم ترها أعيننا وإنما وردت لنا على شكل تراكيب ورموز لغوية، وهي قدرة إعجازية للنص القرآني.

خاتمة

بعد التجوال في رحاب سورة مباركة وقصة تفرد ذكرها كاملاً في النص القرآني بموضع واحد، تبيّنت جملة نتائج نوجزها بالآتي:

–تميز أسلوب القصص القرآني بقابليته المزدوجة على وصف انفعالات الشخصية القصصية وإثارة انفعال المتلقي الذي يعيش بانفعالاته في جو القصة ويلمس انفعالات

الشخصية فيشاركها مشاركة وجدانية، إذ نقلت لنا أحداث القصة بتصوير واقعي حتى كأن قارئها يرجع إلى زمانها ومكانها ليسبق بذلك النظريات الدلالية الحديثة التي تنادي وتدعو إلى ضرورة مراعاة المتلقي وأحواله النفسية.

-شكل توالي الأفعال في السرد القصصي لقصة يوسف (عليه السلام) وتدفق التركيب الفعلي فيه متوالية هندسية رتبت الأحداث وحركيتها بما اشتمل عليه الفعل من حدث وزمن، وعلى وجه الخصوص الفعل المزيد الذي كانت له دلالته الهامة في أحداث القصة وعمارتها اللغوية.

-استطاع السرد القصصي أن يمزج الأحداث وينتقل عبر أزمان مختلفة لينقل لنا الحدث مجسماً ويصوّره بأسلوب بليغ غاية في الإعجاز والبلاغة عبر تكثيف إيجازي معجز يتعدى إيجاز الرواية وتكثيفها في عصرنا الحاضر؛ لكون السرد فيه سرد صادر عن راوٍ معجز في بلاغته وإيجازه.

-لقد بدا جلياً أن السياق القرآني عنى بمشكلات النفس البشرية ونوازعها وانفعالاتها اللاإرادية وبينت أحداث القصة الجانب النفسي لشخصياتها عبر تلمس الشحنات الشعورية لتلك الشخصيات التي ترجمتها أفعالهم الدالة على معانٍ مختلفة ومتنوعة تدل على أمراض نفسية نابعة من قلة الإيمان وضعف العقيدة.

-كان تنوع الأحداث في القصة مدعاة إلى تنوع الانفعالات بحسب الحدث وتبين أن انفعال الغضب والحزن أكثر الانفعالات النفسية بروزاً في القصة وأنهما قد يمتزجان معاً فيكون أحدهما سبباً للآخر.

-إن المواقف الإنسانية التي يعرضها السياق القرآني هي مواقف حقيقية سواء بأشخاصها أو انفعالاتها ومواقفها النفسية وإن انفعالاتها الداخلية والخارجية تتجلى بوضوح في التراكيب المصوّرة لها التي تظهرها أفعال تلك الشخصيات وحركاتها التعبيرية بصورة واقعية وهذا من أسرار إعجاز القصص القرآني.

-كان لعنصر المكان أثر كبير وهام في تشكيل الأحداث، إذ عكس ملامح شخصيات القصة وطريقة تفكير كل منهم وفق طبقته الاجتماعية وبيئته التي عاش فيها وبان تأثيرها في دلالة أفعالها.

-صوّر القصص القرآني حالات النفس الإنسانية التي عني بها علم النفس المعاصر من مسائل الحيل اللاشعورية كالإسقاط والتبرير والكذب وغيرها من دواخل النفس الإنسانية بلغة إيحائية فنية بليغة الأسلوب والتعبير.

-إن مراعاة السياق القرآني للمتلقي وإثارة انفعاله عبر عنصر التشويق الذي أثاره استهلال القصة بالرؤيا الرمزية الاستشرافية يشير إلى سبق النص القرآني للمناهج النقدية الحديثة التي أشارت إلى ذلك وعنيت به في العصر الحاضر.

هوامش البحث

---

[1] الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام / د. عمر محمد عمر باحاذق 9.

[2] الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني (سورة يوسف انموذجا) / آمنة عشاب (رسالة ماجستير) /المقدمة ب .

[3] تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف / دراسة تحليلية في التركيب والدلالة / د.حسن عبد الهادي الدجيلي12 .

[4] قصص القرآن الكريم:دلالياً وجمالياً / د. محمود البستاني 1/ 276 .

[5] المصدر نفسه 1/ 129 .

[6] السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر/ د.عبد المجيد سيد احمد منصور وآخرون 206

[7] ينظر: الدافعية والانفعال / ادوارد ج موراي، ترجمة: د. احمد عبد العزيز سلامة 128

[8] ينظر: أصول علم النفس / د. أحمد عزت راجح 129 - 130

[9] ينظر: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص / عبد الكريم العثمان 255

[10] المصدر نفسه / 260

[11] أصول علم النفس / د. أحمد عزت راجح 133

[12] ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم / سيد قطب 201

[13] نظرية المعنى في الدراسات النحوية / د.كريم حسين ناصح 33

[14]ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها / د. تمام حسان 6

[15]ينظر: الجملة العربية تأليفها وأقسامها / د. فاضل صالح السامرائي 16

[16] نظرية المعنى في الدراسات النحوية / 38

[17]ينظر: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسات) / د.علي زوين 66

[18]ينظر: أصول الدلالة التركيبية في التمني والترجي / د.إبراهيم البب، غياث محمد بابو (بحث) مجلة جامعة تشرين مجلد 30 ع 2 لسنة 2008، ص 153

[19] التصوير الفني في القرآن الكريم / سيد قطب 36

[20] ينظر: البعد التصويري في القرآن الكريم/ مريم سعود (رسالة ماجستير) كلية الآداب واللغات – جامعة الجزائر 77 -78 .

[21] سورة يوسف دراسة تحليلية / احمد نوفل 10 .

[22] الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف / عبد الحميد محمود طهماز 25

[23] الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة / د. فؤاد البهي السيد 214

[24] المصدر نفسه 215

[25] الغضب (العاطفة التي أسئ فهمها) / د. صمؤيل حبيب 26

[26] الغضب (العاطفة التي أسيئ فهمها) /د. صموئيل حبيب 13

[27]ينظر: المفردات في غريب القرآن / أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502 هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة: بيروت، (د . ت)، ص 437

[28]ينظر: الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة في قصة يوسف / الشيخ خليل سليمان 76 .

[29]ينظر: جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف / د.عويض حمود العطوي 22 .

[30]ينظر: المصدر نفسه 21- 22 .

[31]ينظر: تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف / 138.

[32] من الدلالات المشهورة لصيغة (فعّل) التكثير والمبالغة، ينظر: التطبيق الصرفي / د.عبده الراجحي 34 .

[33] ينظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي 11 / 305 .

[34] جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في قصة يوسف / د. عويض بن حمود العطوي 24

[35] المصدر نفسه / 28

[36] يعدّ الاشتراك واحداً من معاني الفعل المزيد (افتعل)، ينظر: التطبيق الصرفي / د. عبده الراجحي 38 .

[37] الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم / إبراهيم عبد الرحيم محمد مصطفى (رسالة ماجستير) 171

[38] ينظر: التحرير والتنوير / ابن عاشور 12/ 239

[39] ينظر: التحرير والتنوير 13 / 42

[40] ينظر: المصدر نفسه 13 / 42- 43

[41] تعد المبالغة واحدة من معاني وزن (افعلّ)، ينظر: التطبيق الصرفي / د. عبده الراجحي 40

[42] ينظر: التحرير والتنوير 13 / 43

[43] الجامع لأحكام القرآن 11/ 435

• قائمة مصادر البحث ومراجعه:

• **القرآن الكريم**

1. ابن عاشور، الطاهر / **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للطباعة والنشر- تونس، 1984م.
2. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب (ت502 هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني / **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة - بيروت، 1961م.
3. باحاذق،د. عمر محمد عمر / **الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف**، دار المأمون للتراث - بيروت، ط 1 / 1417 هـ – 1997 م .
4. البستاني، د. محمود / **قصص القرآن الكريم (دلالياً وجمالياً)**، مؤسسة السبطين (ع) العالمية - إيران، ط 2 /1428 هـ .
5. حبيب، د. صموئيل، **الغضب (العاطفة التي أسئ فهمها)**، دار الثقافة - القاهرة، ط1994/2 م.
6. الخالدي، د. كريم حسين ناصح / **نظرية المعنى في الدراسات النحوية**،دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان، ط 1 / 1427 هـ - 2000 م.
7. الدجيلي،د. حسن عبد الهادي / **تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف** (دراسة تحليلية في التركيب والدلالة)، دار الشؤون الثقافية - بغداد، ط 1 / 2005 م.
8. راجح، د. أحمد عزت / **أصول علم النفس**، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر - القاهرة، ط 7 / 1968م .
9. الراجحي، د. عبده / **التطبيق الصرفي**، دار النهضة العربية - بيروت، ط1/ 1426هـ – 2004 م.
10. زوين، د. علي/ **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث (دراسات)**، دار الشؤون الثقافية - بغداد، ط 1 / 1986م.

11. السامرائي، د. فاضل صالح / **الجملة العربية تأليفها و أقسامها**، دار الفكر - عمان، ط 2/ 2007 م.

12. سليمان، الشيخ خليل / **الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة (قصة يوسف)**، المكتب الإسلامي - بيروت، ط 1 / 1420 هـ – 1999م .

13. السيد، د. فؤاد البهي / **الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة**، دار الفكر العربي - مصر، 1975 م.

14. طهماز،عبد الحميد محمود / **الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف**، دار القلم - دمشق، ط 1 / 1410 هـ – 1990م .

15. العثمان، عبد الكريم / **الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص**، مكتبة وهبه - مصر، ط 2 / 1981 م.

16. العطوي،د. عويض بن حمود / **جماليات النظم في قصة المراودة في قصة يوسف**، دار"تدبر" مركز الدراسات والاستشارات - المملكة العربية السعودية، 1431هـ - 2016 م.

17. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر (ت 671 هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي/ **الجامع لأحكام القرآن**، محمد رضوان عرقسوسي، غياث الحاج احمد، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط 1 / 2006م.

18. قطب، سيد / **التصوير الفني في القرآن الكريم**، دار الشروق - مصر، ط 16 /2002م.

19. منصور، د. عبد المجيد سيد احمد، الشربيني، د. زكريا احمد، الفقي، د. إسماعيل محمد / **السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر**، مكتبة الانجلو المصرية - مصر، 2002م.

20. موراي، ادوارد ج. / **الدافعية والانفعال**، ترجمة: د. أحمد عبد العزيز سلامة، مراجعة: د. محمد عثمان نجاتي، دار الشروق - مصر، ط 1 / 1988 م.

21. نوفل، د. أحمد / **سورة يوسف دراسة تحليلية**، دار الفرقان- عمان، ط1 /1409 هـ - 1989م .

الرسائل الجامعية:

22. سعود، مريم / **البعد التصويري في القرآن الكريم (سورة يوسف انموذجاً)**، (رسالة ماجستير)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات – جامعة الجزائر، الجزائر، 2005 – 2006م .

23. عشاب، آمنة / **الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني (سورة يوسف انموذجاً)**، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات – جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، الجزائر، 2006 - 2007 م .

24. مصطفى،إبراهيم عبد الرحيم محمد / **الانفعالات النفسية عند الأنبياء في القرآن الكريم**، (رسالة ماجستير)، كلية الدراسات العليا – جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2009 م .

البحوث

25. البب، د. إبراهيم، بابو، غياث محمد / **أصول الدلالة التركيبية في التمني والترجي**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية / سوريا، مجلد 30 عدد 2 لسنة 2008 م.